المحاضرة الخامسة

ابن سينا

ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) في قرية قرب "بخارى". كان نابغة منذ صغره، حيث أتم دراسة القرآن والأدب في سن مبكرة، ثم انتقل لعلوم الفقه، المنطق، الفلسفة، والطب.

- التمكن العلمي: اشتُهر بذكائه الشديد؛ ففي الفلسفة، قرأ كتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو ٤٠ مرة ولم يفهمه إلا بعد أن قرأ شرحاً للفارابي.

- حياته المهنية: لم تكن مستقرة، فقد تنقل بين المدن (بخارى، جرجان، همدان) وعمل وزيراً وطبيباً لعدة سلاطين (مثل نوح بن منصور الساماني). توفي في همدان عام ٤٢٨ هـ.

فلسفة الاجتماع البشري (لماذا يحتاج الناس للدولة؟)

يرى ابن سينا أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده (مدني بالطبع)، وذلك لسببين:

- العجز عن سد الاحتياجات: الفرد لا يمكنه توفير طعامه ولباسه ومسكنه وحده، بل يحتاج لآخرين يشاركونه المهن (خباز، نجار، خياط).

- الحاجة للعدل: بما أن الناس يجتمعون، فمن الضروري وجود "قانون" أو "سنة" تنظم علاقاتهم وتمنع الظلم، وهذا القانون يحتاج إلى "مشّرع" (نبي أو إمام) يضعه بوحي من الله.

تقسيم المجتمع والوظائف (المدينة الفاضلة)

يقسم ابن سينا سكان المدينة (المجتمع) إلى ثلاث فئات أساسية:

١.المدبرون: وهم القادة والمسؤولون عن الإدارة.

٢.الصنّاع: أصحاب الحرف والمهن والإنتاج.

٣.الحفظة: الجنود والجيش الذين يحمون المدينة.

وقد شدد ابن سينا على ضرورة أن يكون لكل شخص في المدينة وظيفة مفيدة، وحرم البطالة، واعتبر أن من يرفض العمل رغم قدرته عليه يجب أن يُعاقب أو يُنفى، لأن المجتمع يقوم على التبادل والتعاون.

الجانب الاقتصادي والتكافل

تطرقت الأوراق إلى رؤية ابن سينا "للمال المشترك" في الدولة، حيث اقترح مصادر لتمويل المصالح العامة مثل:

- الضرائب على الأرباح والمكاسب.
- أموال العقوبات والغرامات.
- أموال الذين لا وارث لهم.
- الهدف: الإنفاق على العاجزين عن الكسب (بسبب مرض أو زمانة)، وتجهيز الجيش، وبناء المصالح المشتركة.

أهم مؤلفاته المذكورة

- كتاب الشفاء: موسوعة كبرى في الفلسفة والعلوم.

– كتاب القانون في الطب: الذي ظل مرجعاً لأوروبا لقرون.

– النجاة، الإشارات والتنبهات، والمنطق.

شروط ومواصفات الخليفة (الحاكم)

يرى ابن سينا أن الحاكم ليس مجرد شخص يملك القوة، بل يجب أن تجتمع فيه صفات محددة:

– الأصالة العقلية والخلقية: يجب أن يكون الحاكم ذكياً (أصيل العقل) ويتمتع بالأخلاق الشريفة مثل الشجاعة، العفة، وحسن التدبير.

– العلم بالشريعة: لابد أن يكون أعرف الناس بأحكام الدين ليطبقها بالعدل.

– القبول العام: يجب أن يكون الحاكم ممن يظهر فضلهم ويستعلن للجمهور ويتفق الجميع على كفاءته.

طرق اختيار الحاكم (الاستخلاف)

يرى ابن سينا أن هناك طريقتين لاختيار من يخلف الحاكم:

١.النص (التعيين): وهو أن يحدد الحاكم السابق من يخلفه (وهذا هو الرأي الأصوب عند ابن سينا لأنه يمنع التنازع والاختلاف).

٢.الإجماع: أن يتفق "أهل السابقة" (أعيان المجتمع وعقلاؤه) على اختيار شخص معين علانية أمام الجمهور.

مهام الحاكم (كيف تضبط المدينة؟)

مهمة الحاكم عند ابن سينا هي "السياسة"، وتتلخص في:

- التنظيم الإداري والعسكري: ترتيب الحفظة (الجيش)، معرفة الدخل والخرج (الميزانية)، وإعداد السلاح وحماية الحدود.

- الابتعاد عن التفاصيل الجزئية: يرى أن الخليفة لا ينبغي أن يضع قوانين لكل صغيرة وكبيرة لأن الأوقات تتغير، بل يضع "القواعد الكلية" ويترك التفاصيل للاجتهاد والمشورة حسب مقتضى الزمان.

- المشورة: وجوب الرجوع إلى أهل المشورة في الأمور التي لا يمكن ضبطها بأحكام ثابتة.

العقوبات والأخلاق العامة

أكد ابن سينا على ضرورة وجود عقوبات وزواجر تمنع الناس من معصية الشريعة، وخص بالذكر الأفعال التي تفسد نظام المدينة مثل: (الزنا، السرقة، ومواطأة أعداء المدينة).

علاقة الدولة بالعالم الخارجي (خارج دار الإسلام)

قسم ابن سينا العالم خارج دار الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١.أمم غير مسلمة لكنها صالحة: وهي أمم ذات صفات حميدة، وهذه لا بأس بمهادنتها (السلام معها) ودعوتها للإسلام بالحكمة.

٢.أمم في حالة حرب: وهي التي تشكل خطراً على المدينة.

٣.أمم ذات أنظمة فاسدة: وهي التي تعلن العداء للمسلمين وتنتشر فيها الفوضى، وهذه يرى وجوب قتالها وتعتبر "الجهاد" ضدها ماضياً إلى يوم القيامة.